



خطبة صلاة الجمعة 31/ 12/ 2021 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكى

### (علو الهمة عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].  
أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا».  
وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار «مكارم الأخلاق».

هذه الخطبة الثالثة عشرة في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلَّى بها).  
وعنوان خطبة اليوم:

علو الهمة عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى بها

أيها الإخوة:

سبق أن الخلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخلق اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله، ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

**أيها الإخوة:**

الهمة توجه القلب بجميع قواه إلى أمرٍ ما.

والناس مع الهمة أصناف: فمنهم من تعلقته همته بالثرى فلا يرى إلا ما يضعه في بطنه أو على عاتقه أو ما يملئ عليه هواه.

ومنهم من تعلقته همته بالثريا فلا يرى إلا الحق ولا يعمل إلا للحق ولا يفرح إلا بالحق.

ومنهم من لم تتعلق همته بشيء إذ غلب عليه الكسل والخور.

ومن علامة كمال العقل علو الهمة، فمن علّت همته يختار المعالي، والراضي بالدُّون ديني، وإن من مكائد الشيطان وحيله تثبيط الهمة وتليين العزيمة ونفش الكسل بين الناس والخور.

بينما نقرأ في القرآن الكريم ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ \* في جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ ، ... آياتٍ تدعو إلى الجدِّ والإقبال وعلو الهمة.

وإذا كان حديث اليوم عن علو الهمة عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلّى بها، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1- تروي كتب السير أنّ قريشاً جاءت النبي صلى الله عليه وسلم مراراً تدعوه إلى أن يكفّ عن دعوته، وهددته حيناً وأغرته بالمال والنساء حيناً، وقد قال عتبة بن ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن أخي إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مآلاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مآلاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

وبعث أبو طالب إليه صلى الله عليه وسلم فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا كذا وكذا- للذي قالوه انفا- فأبقي علي وعلى نفسك، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله

صَلَّى الله عليه وسلَّم أنه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلّمه إليهم، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. فقال له: (يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله، أو أهلك فيه).

إنها المهمة العالية للنبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة.

2- وأخرج البخاري في قصة حفر الخندق عن البراء بن عازب قال: رأيته صَلَّى الله عليه وسلم ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعتة يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل من التراب، ويقول:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا      وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا  
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا      وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وقال أبو طلحة - فيما رواه الترمذي -: شكونا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم عن حجرين.

إنها المهمة العالية للنبي صلى الله عليه وسلم في عمله فيما يعمل به أصحابه وتحملهم الذي يتحملون.

3- أخرج الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال: «صليتُ مع النبي صَلَّى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلتُ: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلتُ: يصلي بها في الركعة، فمضى فقلتُ: يركع بها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، ثم افتتح النساء، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه».

إنها المهمة العالية للنبي صلى الله عليه وسلم في عبادته وضراعتة بين يدي الله.

والحاصل أن المهمة العالية خُلِقَ النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف بها، والمتوقع أن تكون همتك عالية، وأن تكون معروفاً بذلك.

أخبرني شاب ذاهب نحو الزواج أنه كان يدرس مع زملائه على شيخه من صلاة العشاء إلى الفجر في بعض الليالي، ويخاف من الزواج أن يحجبه عن هذه المجالس!

علو المهمة تعلق القلب بالحق، فلا يرى إلا الحق ولا يعمل إلا للحق ولا يفرح إلا بالحق، وعلو المهمة من الإيمان.

ذكروا أن دروس الإمام الشَّوكاني اليومية كانت تزيد عن عشرة دروس في فنون متعددة، وتقدَّم للإفتاء وهو في نحو العشرين من العمر.

علو المهمة تعلق القلب بالحق، فلا يرى إلا الحق ولا يعمل إلا للحق ولا يفرح إلا بالحق، وعلو المهمة من الإيمان.

تبرَّع سيِّدنا عبد الرَّحمن بن عوف بقافلة بضائع، جاءته إلى المدينة، أوَّلها بأوَّل المدينة، وآخرها بآخر المدينة.

وكان علي بن الحسين ينفق على مائة بيتٍ، لا يدري به أحد، حتَّى إذا مات انقطعت النَّفقة عنهم، فعلموا أنَّه هو المنفق.

علو المهمة تعلق القلب بالحق، فلا يرى إلا الحق ولا يعمل إلا للحق ولا يفرح إلا بالحق، وعلو المهمة من الإيمان.

رأيت بعض العاملين في مؤسسة إسلامية وضع سرير نومه في غرفة مكتبه وراء ستار لأنه يواصل جهد ليله بنهاره في بعض الأيام لخدمة المؤسسة.

علو المهمة تعلق القلب بالحق، فلا يرى إلا الحق ولا يعمل إلا للحق ولا يفرح إلا بالحق، وعلو المهمة من الإيمان.

كان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يقول: إن لي نفساً تواقَّة، وإنها لم تعط من الدنيا شيئاً إلا تأقت إلى ما هو أفضل منه، فلما جاءتها الدنيا، تأقت إلى ما هو أفضل منها - يعني: الجنة -.

علو المهمة تعلق القلب بالحق، فلا يرى إلا الحق ولا يعمل إلا للحق ولا يفرح إلا بالحق، وعلو المهمة من الإيمان.

قال أبو إسحاق السَّبيعي: يا معشر الشَّباب، اغتنموا قوتكم وشبابكم، قلَّما مرَّت بي ليلةٌ إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية.

علو المهمة تعلق القلب بالحق، فلا يرى إلا الحق ولا يعمل إلا للحق ولا يفرح إلا بالحق، وعلو المهمة من الإيمان.

### أيها الإخوة:

أهم ما في الخطبة أن يعرف المرء كيف يصير عالي المهمة، وهاكم أربعة أمور تعينك على أن تكون عالي المهمة: ضع هدفاً عالياً، ونظِّم وقتك، وصاحب أصحاب المهمة العالية، والزم الذكر والدعاء.

## أولاً: ضع هدفاً عالياً:

أكثر العاجزين لا هدف لهم أو أن أهدافهم دنيئة لا قيمة لها.

لَحَى اللَّهُ صَعْلُوكَا مَنَاهُ وَهَمُّهُ  
مِنَ الْعَيْشِ أَنْ يَلْقَى لَبُوسًا وَمَطْعَمًا

وأكثر العظماء لهم أهداف عظيمة يسعون لها، يفلحون تارة ويخفقون أخرى، لكن فلاحهم إذا  
أفلحوا شيء عظيم.

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرْوَمٍ  
فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ  
كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ

فكلما سما هدف المرء علت همته.

## ثانياً: نظم وقتك واستثمره:

باغتنام الوقت وتنظيم الأوقات نجح من نجح، وبتضييع الوقت خاب من خاب.

يقول أهل اللغة: إِنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَصْرِ الضَّغْطُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى يَتَحَلَّبَ، فقولك: عصر الثَّوبَ، أي:  
ضغط عليه حَتَّى تَحَلَّبَ منه الماء وخرج.

وفي تسمية الزَّمن والوقت في القرآن عَصراً إشارةً إلى ضرورة أن يضغط الإنسان وقته ويغتنامه حَتَّى  
يستخلص منه كل نافع ومفيد.

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ:  
إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا  
فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِي

وتنظيم الوقت يعلو بالهمة.

## ثالثاً: صاحب أصحاب الهمة العالية:

فكم حَفِظَ الْقُرْآنَ حَافِظٌ بِصَحْبَةِ الْحِفَازِ، نفخوا فيه الهمة فطار إليهم، وكم فقه العلوم فقيه بصحبة  
الفقهاء، أضرموا بين جنبه الهمة فلاحق بهم، وكم قام بالليل قائم بصحبة المتجهدين، أشعلوا في قلبه نار  
الحب وحرارة الهمة فسار بركبهم.

واحذر مصاحبة البطالين فتسري عدوى بطالتهم إليك.

## رابعاً: الزم الذكر والدعاء:

لأنّ الذّاكر جليّس الرّحمّن، أنا جليّس من ذكرني، ومن أكثر مجالسة الملوك أدرك عطاياهم ونال منهم، فكيف بمن جالس ملك الملوك؟!.

فمن أراد أن تعلو همته فليلزم ورده من ذكر الله، ثم ليسأله جلّ جلاله أن يعطيه من الهمة العالية ما يبلغه رضاه، وإن أعجز الناس من عجز عن الدّعاء. إذن هي أربعة تعينك على علو الهمة: ضع هدفاً عالياً، ونظّم وقتك، وصاحب أصحاب الهمة العالية، والزّم الذّكر والدّعاء.

### أيها الإخوة:

أكثرُوا من الصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنّه من صلى عليه صلى عليه ومن سلّم عليه سلّم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النّبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين